

قارة المغربى سجن ذو مخرج واحد من جده فهو حر

تقع مدينة مكناس في شمال شرق المملكة المغربية، وتبعد عن العاصمة الرباط حوالى مئة وأربعين كيلومتراً شرقاً وتُعرف المدينة التي يعنى اسمها بالأمازيغية "المحارب" بكونها ذات طابع ريفي خصب، وتعتبر من أهم المدن التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ الغرب الإسلامي.

تنقسم مكناس الى قسمين: المدينة القديمة أنشأها السلطان "مولاي إسماعيل" في القرن العاشر الميلادي، لتصبح العاصمة الجديدة لمملكته وحاول أن تكون مثل العواصم الأوروبية، لدرجة أنها شُبهت بفرساي الفرنسية، وبعد خضوع مكناس للاستعمار الفرنسي في القرن العشرين، قرر الفرنسيون تطويرها وتحديثها، فبنوا فيها المدينة الجديدة على الطراز الأوروبي بمرافقها المختلفة ومبانيها وبساتينها وشوارعها، كما أن مناخها المعتدل في الصيف (يميل للبرودة شتاءً) جعل منها موطناً مريحاً للأوروبيين وغيرهم..

تحيط بمكناس سلسلة جبلية رائعة، أبرزها إفران التي يطلق عليها السياح "سويسرا القارة الأفريقية"، كما يظل المعمار الإسلامي وموروث

يعود الى فترة الحملة الفرنسية التي استعملته كسجن مؤقت للاهالي وكان يحرسه رجل أقرع أطلق اسمه على السجن بمعنى أن "قارة" هي في الأصل "أقرع"، وهناك من يرى أن اسمه يعود الى مهندس الذي كان سجيناً اشترط عليه السلطان اطلاق سراحه مقابل بناء سجن يسع ٤٠ ألف أسير، إلا أن التكوين الوظيفي للسرداب الاسماعيلي حسب مختلف المعطيات والروايات تجعلنا نستبعد أن يكون سبب انشاؤه لاتخاذ كسجن فقط، بل كان لتخزين المؤن والعدة

مكناس التقليدي أهم ما يفتخر به أهلها، حيث تجد باب الرايس وباب جديد وباب الخميس وباب منصور ومربط الخيول وصهريج الصواني، إلى جانب المدينة العتيقة وجوامعها ومآذنها العديدة وأضرحتها وزواياها، الأمر الذي جعلها تحظى بالدخول إلى قائمة التراث العالمي التابعة لليونسكو.

تضم مكناس وفقاً للمؤرخين ثلثي المآثر التاريخية المغربية لعل أهمها واشهرها سجن "قارة" الذي نسجت حوله أساطير لا تعد ولا تحصى، فأكثر ما يلفت الانتباه في هذا السجن أنه بلا مدخل

وبلا حدود وايضا بلا نوافذ حيث يعتمد في تهويته على مساحته الكبيرة جدا الذي يستحيل معها استنفاد كمية الاوكسجين.

وقد اختلف الدارسون في تاريخ اطلاق اسم "قارة" على السجن فهناك من يعتقد أنه اسم حديث



أيضاً لمواجهة أسوء الظروف والأزمات وأن مسألة احتجاز المسجونين والأسرى كانت مؤقتة.

لا تزال مساحة السجن مجهولة إلى الآن فهناك من يقول إنها بمساحة مدينة مكناس وهناك من يقول انه يمتد إلى عشرات الكيلو مترات تحت الأرض والشكل الهندسى للسجن مصمم على شكل شبه مستطيل، مقسم إلى ثلاث قاعات واسعة جداً، حظيت كل واحدة منها بمجموعة من الأقواس والدعامات الضخمة وفي كل قاعة يوجد عدة ممرات وكل ممر يقود الى قاعة اخرى بحيث انك لو توغلت فيه قليلا من شبه المستحيل أن تجد طريق الخروج مرة أخرى.

القاعة الرئيسية بها فتحة في السقف كان يلقي منها السجناء ويتم مدهم بالطعام من خلالها أيضاً وهناك روايات تقول ان المولاي اسماعيل جعل للسجن مخرج واحد في مكان ما والذي يجده فهو حر لكن مع الاسف لم يعثر عليه أحد فهناك الكثير من المغامرين حاولوا استكشافه وكانت النتيجة انهم لم يعودوا أبداً واحدى هذه المحاولات كانت لفريق من المستكشفين الفرنسيين في التسعينات قاموا بتحضير كل

الادوات اللازمة والتجهيزات الحديثة لكشف اغوار "قارة" فكانت النتيجة مأساوية واختفى الفريق ولا يزال مصيرهم مجهول حتى يومنا هذا لتغلقة السلطات بعد هذه الحادثة بجدار من الاسمنت لمنع التغلغل في متاهاته.

أما القاعات الثلاث المفتوحة للسائحين فهي التي تكشف لنا الان عن بعض ملامح ضخامة المنشأة ومتانة بنائها وغرابة هندستها، فالقاعة الاولى مضاءة بمصابيح وبيع بعض الثقوب في السقف، أرضيتها من التراب المدكوك، أما القاعة الثانية فيتم الوصول اليها من خلال منفذ عبارة عن ثقب كبير موجود في الجدار الشرقي، ثم القاعة الثالثة عبارة عن أروقة فسيحة تتكون من مجموعة من الأقواس الضخمة المتقاطعة والمتقابلة.

بجانب بوابة سجن "قارة" الحالي التي شيدت بعد ترميمه توجد بناية كبيرة تسمى "قبة السفراء" أو "قبة الخياطين" وهي قاعة ذات سقف هرمي مغطى بالقرميد الأخضر، زينت جدرانها الداخلية بشريط من الجبس منقوشة عليه كتابات، ويقول عنها الباحثون إنها كانت تخصص لإستقبال سفراء الدول الأجنبية لتطبيع العلاقات معهم من جهة، وللتفاوض حول الأسرى من جهة أخرى، ويبدو أن اختيار هذا المكان فوق السجن لم يكن بالصدفة بل تعمده السلطان لزرع الخوف والرهبته في نفوسهم، وفي القرن ١٩ أصبحت مكاناً لتجمع الخياطين الذين يخطون الملابس العسكرية ومن هنا اشتقت تسميتها



إعداد: مروة عبد العليم